December 2019
Vol 1 Issue 4

The political and military conflict between the Germans, the inhabitants of the Libyan Desert, and the Romans from the end of the first century BC until the end of the second century AD, through literary sources and archaeological remains.

Dr. Fatima Salem Omar Al-Aqili

Al-Aqili @gmail.com

Issn print: 2710-3005. Issn online: 2706 – 8455, Impact Factor: 1.705, Orcid: 000-0003-4452-9929, DOI 10.5281/zenodo.10521651, PP 146-171.

Abstract: This research deals with the political and military conflict that took place between the Garamant tribes in the Libyan Desert with the Romans, after the Romans took control of Carthage and transformed it into a Roman state under the name of the State of Africa. The Garamant tribes were allies and supporters of Carthage, as the Garamant participated in its wars, and they were also a source of Mainly to bring Central African goods to its markets.

This research deals with the relations that linked the Garamantes with the Romans, and the political approach that they adopted to resist the Roman presence, prevent its arrival to their homelands, and attempt to impose its influence on them, leading to the military clash between the two parties. We determine, after paving the way, its causes and stages, and the military campaigns that the Romans sent in order to subject the Garamantes to their authority. , until the stage of peace between the two parties, which was guided by the support of the Germans for a Roman campaign, which aimed to reach the banks of Lake Chad, and with the strong flow of German trade goods, to the markets of the three cities all the way to Rome.

Keywords: German, Romans, conflict, political, desert.

"الصراع السياسي والعسكري بين الجرمنت سكان الصحراء الليبية" والرومان من نهاية القرن الأول ق م وحتى نهاية القرن الثاني الميلادي " من خلال المصادر الأدبية والمخلفات الأثرية"

ملخص الدراسة: يتناول هذا البحث الصراع السياسي والعسكري، الذي وقع بين قبائل الجرمنت، في الصحراء الليبية مع الرومان، وذلك عقب السيطرة الرومانية على قرطاجة، وتحويلها إلى ولاية رومانية باسم ولاية إفريقيا، كانت قبائل الجرمنت حلفاء قرطاجة وداعميها، حيث اشترك الجرمنت في حروبها، كما كانوا مصدرا رئيسيا لجلب سلع أواسط إفريقيا إلى أسواقها. ويتطرق هذا البحث إلى العلاقات التي ربطت الجرمنت بالرومان، والنهج السياسي الذي انتهجه هؤلاء لمقاومة الوجود الروماني، ومنع وصوله لموطنهم، ومحاولة فرض نفوذه عليهم، وصولًا إلى الصدام العسكري بين الطرفين، فنحدد وبعد تمهيد أسبابه ومراحله، والحملات العسكرية التي أرسلها الرومان لأجل إخضاع الجرمنت لسلطتهم، وصولا إلى مرحلة السلام بين الطرفين، والذي توجه بدعم الجرمنت لحملة رومانية، كانت تهدف للوصول إلى ضفاف بحيرة تشاد، وبتدفق سلع التجارة الجرمنتية بقوة، إلى أسواق المدن الثلاثة وصولا إلى روما.

الكلمات المفتاحية: الجرمنت ، الرومان، الصراع ، السياسي ، الصحراء.

المقدمة

وتكمن أهمية البحث في كونه يتصدى لموضوع العلاقات السياسية، بين الجرمنت والرومان، وذلك من خلال المصادر الأدبية أي الإغريقية واللاتينية، وما كشفت عنه المخلفات الأثرية الداعمة لهذا الموضوع، كما تتضح أهداف البحث من خلال معالجة جزئية بتاريـخ الجرمنت، نظرا لأن كل الدراسات السابقة التي عالجت الموضوع كانت بلغات أجنبية لم تخل من تعصب لكل ما هو روماني .

"الصراع السياسي والعسكري بين الجرمنت سكان الصحراء الليبية" والرومان من نهاية القرن الأول ق م وحتى نهاية القرن الثاني الميلادي " من خلال المصادر الأدبية والمخلفات الأثرية"

أولا : مقدمة عن الجرمنت .

الجرمنت او الجرمنتس او الجرميون، قبائل ليبية استوطنت الجنوب الليبي وتحديد منطقة فزان ،كان هيرودوتوس اول من تحدث عنهم كونهم يستوطنون اقليم البدو الرعاة الداخلي ، حيث اشار اليهم كقبيلة

كبيرة العدد والعدة تمارس الزراعة والتجارة كما ذكرهم الجغرافي استرابو وحدد موطنهم علي مسافة عشرة ايام من أوجلة ولم تتضح صورة موطن الجرمنت في العالم القديم الإ في القرن الأول الميلادي ومن خلال المؤرخ الروماني بليني وذلك من خلال وصفه للحملة التي شنها الرومان بقيادة البروقنصلكور نيلو سبالبوسعلي بلادهم

موطنهم : كشفت التنقيبات الأثرية أن موطن الحضارة الجرمنتية قد انحصر في ثلاث مجموعات من الواحات المحصورة بين الحمادة الحمراء وبحر رمال أوباري ومرزق، وتتمثل في وادي الشاطئ إلى الشمال، وادي الأجال، وادي برجوج ومنخفض مرزق زويلة، ورغم كثافة الأدلة على مواقع الاستيطان وأنظمة الري والمقابر ووجودها في جميع المراكز فإن المركز الوحيد الأكثر أهمية هو جرمة التي كان موقعها في وادي الأجال، لقد وصفت جرمة بكونها عاصمة وحضارة الجرمنت، وقد كشف فيها عن مدينة جرمة القديمة والتي تعود إلى القرن الرابع ق م (د.ج.ماتينغلي، منطقة طرابلس ، ص112). لكن يعود أقدم مركز للحضارة الجرمنتية في جبل زنككراZinchecra و يقع على بعد ثلاثة كلم ونصف باتجاه الجنوب الغربي، وقد أثبتت الحفريات أنه قد استمر مأهولا طوال الفترة الممتدة من القرن التاسع ق م، وحتى القرن الأول الميلادي، ثم انتقل سكان جرمة إلى بطن وادي الآجال مؤسسين عاصمتهم جرمة.

أصلهم: تعددت الآراء الحديثة حول أصل الجرمنت، حيث يرى فريق من الباحثين أن أصلهم من شعوب البحر التي تراجعت إلى الصحراء، واستقرت داخل إقليم فزان(محمد أيوب، جرمة ،ص 83) في حين يرى فريق آخر أن أصلهم من فلسطين، في حين يرجح فريق ثالث أنهم من واحة سيوة، وقد فروا منها بعد قدوم الحملة الفارسية إليها (رجب الأثرم، محاضرات في تاريـخ ليبيا، ص213).

ولكن من المحتمل أن يكون الجرمنت من أصل ليبي وذلك بناء على الدراسات العلمية التي أجريت حولهم، واستنادا إلى أوجه الشبه بينهم وبين سكان الصحراء الغربية في مصر وإلى الشبه القائم بينهم وبين الطوارق المعاصرين، في حين يرى فريق رابع أن الجرمنت هم من أصل ليبي، وذلك استنادا على أوجه الشبه بينهم وبين سكان الصحراء الغربية في مصر وإلى التشابه الواضح بينهم وبين الطوارق (الأثرم ، مرجع سابق ص 214).

ويشير البعض إلى أن هناك أصلا مشتركا بينهم وبين المجموعة ج التي يعتقد أنها ليبية الأصل، وتعود في الأصل إلى قبائل التمحو الجنوبيين(O.Bates، the

Easterans،245p)، وهناك من يرجح فرضية أن قبائل القرعان الحالية التي كانت منتشرة في القرن السابع عشر الميلادي حتى بلاد النوبة، تمثل سكان فزان الجرمنت وتقوم بنفس دورهم وهذا يعني أن انتشار القبائل الليبية كان كبيرا حتى إنهم وصلوا إلى وادي النيل فتأثروا بأهله واثرو فيهم (الأثرم ،نفسه).

مظاهر حضارة الجرمنت:

النظام السياسي والاجتماعي عند الجرمنت : يشير دانيلز إلى أن الجرمنت عرفوا نظام مجتمعي منذ الألف الأول ق م) وذلك في أول استقرار لهم في جبل زنككرا، وتكشف المصادر الكلاسيكية أن أقدم نظام سياسي عرفه الجرمنت بعد النظام العشائري كان النظام الملكي، حيث كان على رأس الهرم السياسي في جرمة ملك وعلى الرغم من أننا لا نعلم إن كان الحكم وراثي أم لا، فإن الملك الجرمنتي قد جمع مقاليد السلطة السياسية والدينية، فهو الكاهن الأعظم، وتظهر مقابر الملوك الضخمة والتي أقيمت على مناطق مرتفعة أنهم كانوا يعتبرون أنفسهم ملوكا في الحياة الدنيا والآخرة وتمييزا عن باقي مقابر الرعية التي كانت في بطن الوادي (أيوب،مرجع سابق ،ص 155_159).

دلت التفرقة بين مقابر الملوك وحكام الأقاليم أن هؤلاء كانوا يأتون بعد الملوك في السلطة، وقد اعتبر حكام الأقاليم نواب الملك، وكان عليه أن يدفع ضريبة معينة وأن يمده بالمحاربين، وإلى جانب طبقة العامة التي امتهنت كل الحرف والمهن، شكل العبيد الطبقة الدنيا في المجتمع الجرمنتي (أيوب، مرجع سابق ، ص158).

على الصعيد الاجتماعي يكشف نص استرابون أن الجرمنتس قد عرفوا نظام تعدد الزوجات ويقولاسترابون في هذا الصدد: أن لهم زوجات وأبناء عديدين وهو امر أكده ايضا بومبيوس ميلا(Pompius mela،I،8)،ولم يكن ذلك يعتبر منقصة في حق المرأة الجرمنتية، فقد أكدت المخلفات التي عثر عليها في المقابر الفخمة التي أقيمت لهن في الجبانة الملكية أنها كانت تحضي بالتكريم والتقدير، وإنها كانت مساوية للرجل في المكانة (أيوب، مرجع سابق ، ص156)، ويجب أن لا ننسى أن أهم معبودة قدسها الجرمنت بعد الإله جرما كانت الربة تانيت المحاربة(نفسه) .

النظام الأقتصادي عند الجرمنت: تمثل النشاط الاقتصادي عند الجرمنت أولا في الرعي، وقد وصلنا ذكر ثيرانهم التي كانت ترعى متراجعة للخلف بسبب قرونها الطويلة كما ربالجرمنت الخيول التي كان يتم الاحتفال بتعشيرها سنويا، وبالإضافة إلىتربية الماشية عرف الجرمنت الزراعة وقد طورو

االجر منتنظم الري في الواحات وقد عرف هذا النظام باسم والذي أتاح لهم زراعة العديد من المحاصيل مثل القمح الصلب والشعير القطن والزيتون والدخن بل والخضروات أيضا والفواكة أيضا على الرغم من قسوة المناخ الصحراوي لموطنهم فقد كشفت الحفريات عن عديد من أنواع البذور التي يبدو أنها قد جلبت من أماكن بعيدة وزعت في موطن الجرمنت.

لقد طور الجرمنت صناعتهم المحلية مثل صناعة النسيج ،كما مارسوا أيضا التعدين (محمد أيوب ، جرمة ،ص 218)، والذي تم جلب مواده الخام من خارج أراضيهم، ولكن كانت التجارة عماد اقتصادهم وسبب ازدهار حضارتهم ورقيها، وعن علاقة الجرمنت التجارية بمن جاورهم يمكن أن نحددها بالآتي:

العلاقات الجرمنتية بالقبائل الليبية: ارتبط الجرمنت بعلاقات تجارية منذ وقت مبكر مع من جاورهم من القبائل الليبية (مصطفي كمال عبد العليم ، دراسات ، ص218) سواء القبائل الواقعة على الساحل أو الداخل (Bates،op.cit،101p)، ولا شك أن الأمر في البداية اقتصر على التبادل التجاري البسيط من سلع مصنعة محليا، ثم تطورت تلك السلع بعد احتكاك القبائل بغيرها من الشعوب سواء في المنطقة المجاورة كالمصريين والقرطاجين، أو منطقة البحر المتوسط،وبالتالي تم جلب العديد من البضائع المصنعة خارج المنطقة (يوحنا بطرس، تاريـخ قوريني، صص 243_247).

لقد أكدت العديد من الشواهد التاريخية على وجود علاقة بين الليبيين _ وخاصة إقليم قورينائية وسكان جزر البحر المتوسط _وتحديدا كريت (رجب الأثرم، العلاقات الليبية اليونانية ،ص 91_108).

كما عثر في كريت على قلائد من العاج والتي شكلت على هيئة قردة وأختام عاجية بالإضافة إلى بيض النعام الذي كشف عنه في مقابر الأتروسكيين (Bates، p 101) ومن الدلائل على التواصل الحضاري أيضا ظهور السيوف البرونزية عند الليبيين في حروبهم ضد المصريين زمن الأسرة الثامنة عشرو التاسعة عشر(حسين مراجع ، العلاقات الليبة الفرعونية،ص 125)، حيث ذكر عن الفرعون المصري مرنبتاح استيلاؤه على مالا يقل عن 9111 سيف برونزي من الليبيين(رجب الأثرم ، محاضرات ، ص61) بالإضافة إلى العربات التي ظهرت لاحقا عند الجرمنت، والمصنوعة من الحديد(باربارا باريش، حفريات جديد في جبل اكاكوس ص 133)، ومن المعروف أن البرونز والحديد معادن لم تتوفر في ليبيا (الأثرم ، محاضرات ، ص 86)،

وفي السياق نفسه يشير أحد الباحثين إلى "أن الأسلوب الطائر أو العدو الطائر، والذي ظهرت به العربات في موطن الجرمنت على الرسوم الصخرية، لا نجد هذا النوع من الرسم سوى في الحضارة المينوية في كريت"(جوزيف كي زيربو، تاريخ افريقيا ، صص168_169) .

لقد تحدث هيرودوتوس على خط التجاري الصحراوي _ وسط الصحراء _الذي امتد من مصر وتحديدا في ممفيس بمصر والممتد حتى سواحل الأطلسي (Herodtus،iv،185)،وهو خط محطاته التجارية تقع كل مسافة عشرة أيام مسير، ولا شك أن هذا الخط التجاري قد ساهم في التبادل التجاري بين القبائل، من جهة أخرى لم يصلنا أي شيء من المصادر بحدوث صدامات بين القبائل الليبية، بل على العكس كثيرا ما نجدها تدخل في تحالفات ومواثيق فيما بينها، وقد حدثنا هيرودوتوس على أسلوب التعاهد والميثاق عند النسامونيس (Herodtus،iv،172،)، كما أشارت المصادر أيضا إلى التحالفات التي تعقدها فيما بينها، لدفع أخطار تهددها أو لشن حروب على عدو لها مشترك، ولعل أقوى هذه التحالفات ما كان بين قبيلة النسامونيس.

العلاقات الجرمنتية القرطاجية :

لا نستطيع تحديد تاريخ محدد لبدء العلاقات القرطاجية الجرمنتية، نعلم واستنادا إلى فقرة من جستين (Justin) أن قرطاجة قد بسطت نفوذها على المناطق الواقعة إلى الغرب منها في القرن السادس ق م ، كما أن استرابو(Στράβων) قد أورد ما يدعم حيث تحدث عن تأسيس مالا يقل عن ثلاثمائة مدينة فينيقية على ساحل موروسيا الغربي، وهي المنطقة التي أسماها امبوريكوس (Εμπορικος) أي التجاري، وقد دمرت هذه المدن لاحقا على يد قبائل الفاروسين.

ويبدو أن توسع قرطاجة على السواحل الغربية منها وصولا إلى منطقة الأطلسي قد ترافق مع بسط نفوذها على السواحل الشرقية منها، وتحديدا على المدن الثلاثة وصولا إلى ساحل سرت الغربي (اصطفياناكسيل)، تاريخ شمال افريقيا ، ص 213)، ويبدو أن ذلك قد تم في أعقاب قضاء قرطاجة على المحاولة الاستيطانية التي قام بها المغامر الاسبرطيدوريوس (Δωριεύς) إلى ليبيا وإنشائه لمستعمرة على نهر كينيبس(واديكعام) (Herodtus،iv،42) وعلى الرغم من أن هناك من ينفي علاقة قوريني بمحاولة تأسيس المستعمرة، وأنها كانت مغامرة فردية لقيت دعم من ثري منفي في مدينة أبولونيا،

ويدعي فيليبوس ابن بوتاكيدس الذي دعم هذه المحاولة بالمال والسفن(فاطمة العقيلي، القبائل الليبية في ضوء المصادر، ص 58)، فإن الثابت ومن سياق الأحداث أن قرطاجة كانت تنظر إلى هذه المستعمرة بمثابة خطر محدق بمناطق نفوذها، ولأنها ما كانت لتقبل امتداد رقعة التواجد الإغريقي حتى يجاور مناطق نفوذها، لهذا جاء استنجاد قبيلة المكاي وما جاورها من قبائل، بمثابة فرصة للقضاء على هذا الخطر الإغريقي، وفعلا تم ذلك بعد مرور سنتين على إنشائها أي في عام 512 ق م(Herodtus،iv،42)، ويؤكد أكصيل " أن قرطاجة قد فرضت نفوذها على الساحل الشرقي منها واعتبرته منطقة نفوذ خاصة بها". (اكصيل، مرجع سابق، ص 74 (

لقد حمت قرطاجة مناطق نفوذها في المنطقة، وأبعدت أي خطر يهدد مصالحها التجارية، وقد وصلنا أنه في عام 509 ق م وقعت قرطاجة مع روما معاهدة، جددتها عام 348 ق م (سيد الناصري ، تاريخ الرومان ، ص156)، وقد نصت المعاهدة على تحديد مسار السفن الرومانية أثناء المرور بالأقاليم الخاضعة لقرطاجة، وقد اتفق الطرفان على أنه لا يجوز للرومان ولا لحلفائهم أن يتجاوزوا الرأس الجميل (رأس علي المكي بتونس) إلا لأسباب اضطرارية كالعواصف أو الاحتماء من القراصنة أو الأعداء وأنه لا يجوز للقادمين إلى السواحل القرطاجية الشراء أو اقتناء أي شيء إلا ماكان ضروريا لترميم سفنهم أو إصلاحها أو لإقامة الشعائر الدينية وعلى كل الأحوال لا يحب أن يبقوا أكثر من خمسة أيام في المقابل ضمنت روما (احمد صقر، مدنية المغرب ، ص94) .

لقد أكد نص سالوست (Sallust) على ما سبق فقد أشار إلى حدوث حروب عديدة، بين قرطاجة وقوريني، وكل ذلك من أجل السيطرة ومد نفوذها على حساب الآخر، وكانت منطقة ساحل سرت الكبير(Μεγάλη Σύρτις) محور الصراع، والذي لم ينتهي إلا بتحديد النفوذ بينهما بواسطة سباق العدائينفيلايني(Sallust، Bell. Iugur.).

كما حرصت قرطاجة على استقطاب هذه القبائل، خاصة قطبي منطقة السرتيس، وأقصد النسامونيسوالمكاي، حيث عقدت تحالفات معها ودعمتها كما استخدمتها في ضرب عدوتها في المنطقة أي إغريق قورينائية، وقد دلل على ذلك نقش موجود في قوريني، خلد انتصار خمسة قادة عسكريين إغريق على تحالف النسامونيسوالمكاي، والملفت في هذه

الحرب أنها كانت حربا بحرية مما يؤكد على تواطؤ قرطاجة فيها (SEG،ix،77).

من جهة أخرى ارتبطت قرطاجة بالقبائل الليبية الواقعة إلى الداخل، حيث حرصت على التحالف مع قبائل الجرمنت، كونها أقوى القبائل الداخلية، ولم تحاول أن تفرض نفوذها بالقوة عليها، ولعل ما قوى روابط التحالف بين الطرفين الارتباط التجاري بينهما، حيث كان الجرمنت سادة التجارة الصحراوية، واكتفت قرطاجة بدور الموزع لهذه السلع (فيصل الجربي ، الفنيقيون في ليبيا، ص 158_166)، وحقيقة كان هذا الأسلوب منهجا عند القرطاجيين، وهو ما تجسد في التجارة الصامتة التي تحدث عنها هيرودوتوس، فطالما كانوا يتحصلون على سلع التجارة ولم يحاولوا فرض نفوذهم على الشريك التجاري لهم (Herodtus،iv،196).

ثانيا : أسباب الصراع العسكري بين الجرمنت الرومان .

الأسباب السياسية :

سياسة الاحتلال وفرض الهيمنة الرومانية :

تعد سياسة الاحتلال وفرض الهيمنة الرومانية من أولى أسباب الصراع بينهم وبين الجرمنت خاصة والقبائل الليبية عامة، لقد كان الرومان يعتبرون أنه وبحق الاحتلال يحق لهم استعباد وإخضاع ما عداهم من الشعوب، وقد تلقت القبائل الليبية عامة أسوأ معاملة خاصة الرافضة للاحتلال الروماني، ووفقا للقانون الروماني صنفت القبائل في خانة الغرباء أو الأجانب (érégrinsdéditicesp)(عمر ممدوح، القانون الروماني، ص175) وهم بنظر الرومان الرعايا الخاضعين والمهزومين بقوة السلاح.

ويحضرنا في هذا السياق خطبة الأمير النوميديويوجرثا (Jugurtha) في جيشه ولأجل استمالة صهره بوكوس ملك المور حيث قال: (إن الشعب الروماني شعب ظلوم وبخله لا حدود له وهم أعداء البشرية، وإنهم يحاربونه هو وأمم أخرى بجيوشهم لسبب واحد، رغبتهم في التسلط، الأمر الذي جعلهم خصوما لكل الدول، اليوم أنا وبالأمس القريب القرطاجيون، والملك بيرسي، وغدا كل من يتبينون أنه الأغنسيكون عدوهم.

لقد جرد الرومان القبائل الليبية من أراضيها الخصبة، ثم ما لبث الرومان أن زحفوا على أراضي الرعي السالتوس ،وهي أراضي حيوية بالنسبة للقبائل خاصة البدو الرحل التي كانت قطعانها تتعايش على هذه الأراضي لينتهي بها وقد تم دفعها إلى أطراف الصحراء أو إلى أراضي جرداء غير صالحة للزراعة خارج خط الدفاع الروماني الليمس (Limes)، ولم

يكن أمام القبائل الليبية من سبيل سوى المقاومة الشديدة للاحتلال والرومنة، حيث اندلعت ثورات هزت الوجود الروماني في الشمال الإفريقي، خاصة في الولاية البروقنصلية وولاية قورينائية وكريت، وكان على روما الدفع بقناصلها لإخمادها كثيرا ما جسدت النظرة الرومانية في المصادر قدرا كبيرا من التحامل على الجرمنت ووصفتهم بأوصاف منها شرسون همجيون (Pompius mela،I،25)يغيرون على غيرهم، يطمرون آبار الصحراء (Pliny،nat. his،v،38،5)يتجنبون الحديث عن موطنهم(Strabon،ii،5)؛كما يصفوهم بكونهم يعيشون في مشاعية جنسية فلا يعرفون مبدأ الزواج، كما يسيرون عراه (Pompius mela،I،8)،ويقول ديفيد ما تنجلي (D. J. *Mattingly*.) أن ما كشفت عنه الحفريات الأثرية يؤكد مدى التحامل الشديد الذي طال الجرمنت من قبل الرومان.

وتعود جذور العداء الروماني للجرمنت، إلى فترة الصراع الروماني القرطاجي،فقد كان الجرمنت حلفاء تقليديين للقرطاجيين، ارتبطوا معها بعلاقات سياسية وتجارية، كما دعمتها في حروبها ضد الرومان ،وفي هذا الصدد أورد بولبيوسالجرمنت ضمن تشكيلة القبائل التي دعمت قرطاجة في الحرب البونية الثانية وهو أمر أكده أيضا الشاعر الإيطالي سيلوس اتاليكوس(iii،279_275،)، وقد تميزت العلاقات الجرمنتية القرطاجية بخصوصية كشفت عنها الأحداث التاريخية ،وهي أنه على الرغم من توسع قرطاجة شرقا وغربا لم يردنا أي شيء بخصوص إخضاعها للجرمنت بقوة السلاح، مما يؤكد أنها ارتبطت معهم بعلاقات طيبة بحيث تركت مقاليد التجارة الصحراوية بأيديهم، ولم تفكر في مد نفوذها عليها،وقد أشار اثيناوس أن أحد التجار القرطاجيين وكان يدعى ماجو قد سافر برفقة قافلة تجارية جرمنتية كما اكتفت بلعب دور الوسيط التجاري، حيث كان الجرمنت الموردين للبضائع الصحراوية إلى منطقة المدن الثلاثة وإلى قرطاجة، والتي كانت تنقل هذه البضائع إلى أنحاء العالم القديم حتى أن بعض هذه البضائع أصبح يحمل اسم القرطاجي، ومثال على ذلك أحجار الجرمنت الكريمة والمسماة الكاربونيكل(فرانسوا ديكريه ، قرطاجة او امبراطورية البحر،ص 122_133).

سياسة الجرمنت الدفاعية :

تكشف المصادر أن الجرمنت قد وجدوا أنفسهم وعقب تدمير قرطاجة عام 146 ق م، قد فقدوا أقوى حليف داعم لهم،(إبراهيم نصحي ، تاريخ الرومان، ص 270_274)ويبدو أن خوفهم من الرومان وخشيتهم على تجارتهم الصحراوية، كان بارزا

حتى أن استرابوقد أشار إلى ذلك بقوله: "إن الجرمنتين القلائل الذين يأتون إلى منطقة المدن الثلاثة كانوا يتجنبون الحديث عن موطنهم "(Strabon،ii،5)، كذلك أشار بليني أيضا إلى "أن الجرمنت اعتادوا دفن الآبار بالرمال أثناء تراجعهم إلى موطنهم "(pliny،v،38،5).

وتشير الأحداث التاريخية إلى أن الجرمنت كانوا مدركين للخطر الروماني وما يمثله على تجارتهم الصحراوية عماد اقتصادهم، وأن الصدام مع الرومان كان مسألة وقت،لهذا انتهجوا سياسية دفاعية تمثلت في عقد تحالفات مع القبائل الليبية ودعمها، ومن أمثلة هذه التحالفات ما تم مع قبائل الجيتولي التي أعلنت الثورة ضد الرومان كذلك تحالف الجرمنت مع ثورة تكفاريناس(Tacitus،annuals،IV،23)وكي ف ساهم هذا التحالف في استمرار الثورة لسنوات طويلة أرهقت الرومان، وعجز أربعة من قناصلها عن إخمادها.

الأسباب الاقتصادية : الأطماع الرومانية في السيطرة على منابع التجارة الصحراوية :

كان الجرمنت ومنذ القرن الخامس ق م، سادة التجارة الصحراوية والتي قامت ما بين مناطق أواسط إفريقيا والسواحل الشمالية لليبيا، حيث لعبوا دور الوسيط التجاري في نقل كل المنتجات الصحراوية أو الساحلية محققين بذلك ثراء وغنى عكسته المخلفات الأثرية التي كشف عنها في مقابرهم.

لقد سيطر الجرمنت على تجارة أهم السلع الصحراوية المطلوبة في العالم القديم آنذاك، والتي حرص الرومان وبشدة في الحصول عليها وقد تمثلت في الآتي :

العبيد: عرف الجرمنتΓαράμαντεςتجارة العبيد ومارسوها منذ وقت مبكر من تاريخهم (j. wright، The trans Saharan،54p) وفي القرن الخامس ق م أفادنا المؤرخ الإغريقي هيرودتوتس " بأن الجرمنت وهم قوم كثيرو العدد اعتادوا مطاردةسكان الكهوف بعربات تجرها أربعة خيول، وذلك لأن سكان الكهوف كانوا أسرع في الجري من جميع البشر الذين سمعنا حولهم روايات "Herodutos،IV،183)).

ونتبين من نص هيرودوتوس أن حملات المطاردة التي كان يشنها الجرمنت، كانت منتظمة وذلك لأجل جلب العبيد، الذين كان يتم استخدامهم في البيوت والمزارع(ايوب،جرمة من تاريـخ الحضارة ،ص 157)، وليباع الجزء الأكبر منهم في الأسواق الخارجية (J.R. Willis، Slaves Slavery،54p))، وفي السياق نفسه دعمت الرسوم الصخرية ما سبق وذكره هيرودوتوس، حيث جسدت مناظر العربات المسرجة إلى خيول في تين تازرافت وأم

اتوامي بجبال تاسيلي، وهي تطارد أشخاصا، كما أظهرت أيضا مشاهد قتالية بين أشخاص (عماد غانم ، الصحراء الكبري ، ص 148، 162)

لقد أوردت المصادر اللاتينية ذكرقبيلة كانت مجاورة للجرامنتيس وتدعى الجمفزانتيس) حيث وصفت أفرادها بأنهم كانوا" يبتعدون عن كل البشر، ولا يملكون سلاحا حربيا ولايعرفون كيف يدافعون عن أنفسهم "(Herodotus،IV،174) وهذا الوصف جعل بعض الباحثين يفترضون وقوع هذه القبيلة تحت سيطرة قبائل الجرمنت القوية بحيث تم استعبادهم، وقد اعتمد في التدليل على هذا الرأي، ماكشفت عنه المقابر الجرمنتية، التي أكدت على أنه كان يعيش في مواطن الجرمنت أربع سلالات بشرية،اثنان منها تنتمي لجنس البحر المتوسط أي بيضاء وأخرى سوداء ورابعة خلاسية،أي مزيـج بين السلالة البيضاء والسوداء (C.Danialis، op. cit،17p).

شكلت الحروب مصدرا آخر للعبيد، وكثيرا ما عثرنا على مشاهد قتالية مجسدة في الرسوم الصخرية تعود إلى الجرمنت(غانم ، مرجع سابق، ص 162)، كما أكدت المصادر الأدبية على دخولهم في حروب عدة(Erich S. Gruen، "The Expansion of the Empire،168p)،سواء بشكل مباشر مثل صدامهم مع الرومان أو بدعم غير مباشر لحلفائها مثلما حدث في دعمها لثورة تكفاريناس وثورات قبائل الجيتولي، وتعتبر التجارة مع أواسط إفريقيا وغيرها من المناطق، المصدر الرئيسي لتجارة الجرمنت في العبيد، وفي هذا الصدد يؤكد الباحثون على أنه ومقابل منتجات البحر المتوسط، كان الجرمنت يتحصلون على العبيد والذهب والجلود، وغير ذلك من المنتجات الأفريقية. (D. Mattingly، Tripolitania،p375).

لقد اندفعت قوافل التجارة الجرمنتية بكل سلعها التجارية شمالا سواء إلى سواحل المتوسط شرقا وتحديدا إلى منطقة السرتيس، حيث النسامونيس سادة التجارة البرية ومنهم تنقل السلع إلى إقليم قورينائية أو إلى طريق الواحات (أوجلة وجالو واجخره) ومنها إلى مصر عبر خط التجارة الصحراوي الذي أشار إليه هيرودتوس، أو تتجه القوافل من جرمة باتجاه الساحل صوب المدن الثلاثة، ومنها يتجه خط آخر صوب الأراضي القرطاجيةR.C..Low، The garamantes and trand Saharan،181p_200)).

لقد تدفق العبيد على الأسواق الرومانية وأصبحت البيوت الرومانية مكتضة بهم ولم يعد دورهم قاصرا على الخدمة في البيوت والمزارع فقط بل أصبح منهم المربيين والموسيقيين والأطباء (اميل لودفيغ ، البحر

المتوسط ، ص 219)، ومن جهة اخرطت شهرة الجرمنت كسادة للتجارة الصحراوية خاصة في العبيد، حتى إن صفة العبد أو مصطلح نيجرو (Nigri) أي عبد قد ألصقت بهم، فنجد أن بطليموس الجغرافي يقع في خلط بخصوصهم فيقول إنهم شديدو السواد(ptolemy،I،7،9) ثم يقول هم قليل والسواد(Ptolemy،I،5،8.)،على الرغم من تأكيد الأبحاث الأثرية على أن الجرمنت لم يكونوا سود البشرة، ويعتبر ديزانج G Desanges)) أنه لمن قبيل التحامل الواضح اعتبار الهياكل العظمية شبه الزنجية التي وجدت في المقابر الجرمنتية هي هياكل عبيد.(جياندیزانج" البربر الاصليون،صص438)

ظل الجرمنت ولفترة طويلة من بعد الميلاد سادة التجارة الصحراوية عامة وتجارة العبيد خاصة وقد وصف أحد النقوش عبد جرمنتي بأنه بلون القار (Frontinus: Stratagems،I،ii،18)، وهو وصف مطابق لعبيد أواسط إفريقيا الذين جلبوهم الجرمنت عبر التجارة، ولعل من أجمل ما وصلنا بهذا الخصوص قصيدة شعرية من القرن الثالث الميلادي، تعود إلى مدينة هادروميتوم(Hadrumetum) سوسة الحالية بتونس، تصف عبد جرامنتي فتقول :

(يأتي حثالة الجرمنت إلى عالمنا، ويفخر العبد الأسود بجسده الداكن، إن لم يكن من الصوت البشري الصادر من شفتيه، فإن هذا الشيطان بوجهه المروع سيخيف الرجال، ويسمح لغضب من الحجيم أن يأخذ الوحش لأنفسهم، بيت العالم السفلي يجب أن يكون هذا الشخص حارسه).(N.m. Kay، Epigrams from the anthologia latina،60p))

يبدو أن تجارة العبيد عند الجرمنت قد استمرت حتى القرن السادس الميلادي، حيث أشار الشاعر لوكسوريس(Luxorius) وهو شاعر عاش في قرطاجة في الفترة من 490_534 م، من حكم الوندال، في إحدى قصائده إلى: استيراد نساء جرمنت ياتكعبيد في قرطاجة.

الحيوانات: تأتي الحيوانات في المرتبة الثانية بقائمة الصادرات الجرمنتية، وهي تنقسم بطبيعتها إلى قسمين: الحيوانات المدجنة والحيوانات البرية المتوحشة، وبالنظر إلى النوع الأول من الحيوانات نجد أن الخيول تأتي في قائمة الحيوانات التي قام الجرمنت بتربيتها والمتاجرة بها (Herodotus،IV،170_180،171)، وقد أرجع أيوب ظهورها في إفريقيا إلى القرن السابع عشر ق م، كما أظهرت الرسوم الصخرية العديد من مشاهد الخيول بالعديد

من الوضعيات تجر عربات، أو تطارد أشخاصا أو في مشهد قتالي أو سباق (عماد غانم ، مرجع سابق، ص148).

لقد دللت المصادر الأدبية على وجود الخيول، لدى القبائل الليبية ومن بينهم الجرمنت، وبناءا على ما أورده هيرودوتوس، فقد اعتاد أفراد قبيلة الجرمنت مطاردة سكان الكهوف الترجولديت بعربات تجرها الخيول (Herodotus،IV،183.)، من جهة أخرى يبدو أن حرص الجرمنت على تربية الخيول كان كبيرا، حيث أفادنا الجغرافي استرابو " بأن ملوك الجرمنت كانوا يمارسون تربية الخيول بشغف واهتمام كبير، حتى إن عدد الأمهار قد يصل إلى مائة ألف مهر سنويا" . (strabon،xvii،21،3)

لقد نوه اكصيل (S. Gsell) إلى أن للخيول الليبية خصائص ربما لم يدركها القدامى _ حسب وجهة نظره _ وهي تتمثل في القدرة على الصبر والتحمل حتى إنها تتحمل إذا استلزم الأمر العطش والجوع (اكصيل، مرجع سابق ، ص 193_ 197)، ولعل هذا يفسر لنا كيف ازدهرت تربية الخيول عند القبائل الليبية في المناطق الداخلية ذات المناخ الصحراوي الصعب .

وتأتي الثيران الجرمنتية في المرتبة الثانية بعد الخيول، وقد دللت الرسوم الصخرية في الجنوب الليبي، على انتشار تربية الأبقار والثيران في الجنوب الليبي بين سكان الدواخل ولعل أجمل المشاهد الصخرية ذلك المجسد تشوينيتبالأكاكوس، ويعود إلى الدور الرعوي المتوسط (7082_ 4730) ق م (غانم ، مرجع سابق ص 134_ 135).

لقد حدثنا هيرودوتوس عن ثيران الجرمنت " التي كانت ترعى وهي متراجعة إلى الخلف " حيث يعلل ذلك بقوله " للسبب التالي حيث أن لها قروناّ منحنية إلى الأمام فهي ترعى وهي تسير إلى الوراء، إذ لا يمكن أن تسير للأمام لأن قرونها عندئذ ستنغرز في الأرض " وبخلاف ذلك يشير هيرودوتوس بأنها "لا تختلف عن باقي الثيران سواء في سمك جلودها أوملمسها" (Herodotus،IV،183.)،ولقد ظل صدى شهرة هذه الثيران يتردد من القرن الخامس قبل الميلاد وحتى القرن الأول الميلادي في المصادر (Mela،I،45،pliny،VIII،1،70)، لذا لانستبعد اتجار الجرمنت بها، ووجودها ضمن السلع الصادرة منهم .

الحيوانات البرية : دللت المصادر القديمة على مدى غنى ليبيا بحيواناتها البرية، ومنذ عصور ما قبل التاريـخ أظهرت الرسوم الصخرية مشاهد الحيوانات المختلفة، وأساليب صيدها، كما أكدت صلاية الأسد والعقبان وصلاية صيد الأسود على مدى

براعة الليبيين في الصيد (موري ، تادرارات ، ص 179)، حتى إنه في عهد الأسرات المصرية، كان الملوك يفرضون عليهم الجزية من خلال ما كانوا يصطادونه وفي هذا الصدد أشارت المراجع إلى أن الملكة حتسبشوت من الأسرة الثامنة عشر قد فرضت على قبيلة التمحو جزية تمثلت في سبعمائة سن فيل وعدد كبير من جلود الفهود (O. Bates، op. cit، p،99،93.).

لقد أشارت المصادر الكلاسيكية إلى مدي غني ليبيا بالحيوانات البرية حيث ذكر أرسطو طاليس(Ἀριστοτέλης) في كتابة الحيوان إلى أن (الحيوانات المتوحشة أكثر توحشا وجسارة في أسيا منها في أوروبا ، ولكن في ليبيا تبدي الأشكال الحيوانية غني وتنوع أشد (Generation of animals،viii،28)) وفي القرن الخامس قبل الميلاد قدم لنا هيرودوتوس وصفا شيقا للحيوانات البرية في إقليم البدو الرعاة _ حسب تسميته للمنطقة الممتدة من غرب مصر وحتى بحيرة تريتون.

كشفت الرسوم الصخرية في الجنوب الليبي عن مشاهد لطيور النعام ،والتي كانت منتشرة بدرجة كبيرة في ليبيا ، وقد أكد مشهد في جبال العوينات ويعود إلى الدور الرعوي القديم ، بأنه جرت محاولات لتدجينه وذلك لأجل ريشه وبيضه ،فضلا عن جلده ولحمه (فابريتشيو موري ، تادراراتاكاكوس، صص 179،174)، وبناءا علي ما ذكره لوكان (Lucian) فإن الجرمنت كانوا يصطادون طيور النعام في الجهات الجنوبية منهم (Lucian،Dipsades،2))، وقد عثر في المقابر الجرمنتية علي عقود صنعت من حبات بيض النعام (Ayoub، Excavation at garma،p p 18 _ 19)

ويتوافق العديد من الباحثين على أن الجرمنت اعتادوا مبادلة سلعهم التجارية _ سواء المحلية أو سلع منطقة البحر المتوسط_ مع سلع مناطق أواسط إفريقيا، والمتمثلة في الذهب والأحجار الكريمة والجلود وربما الملح والتوابل (D.J.Mattingly and athers، Trade in the ancient،(126_125)، كما استجلبوا الحيوانات المفترسة غير الموجود بموطنهم، وفي هذا الصدد أشار بطليموس الجغرافي إلى حملة قام بها شخص يدعى جوليوسماتيرنوس إلى المنطقة الجنوبية من الأراضي الجرمنتية، وقد عاد جوليوسماتيرنوس ومعه العديد من الحيوانات البرية التي قام باستعراضها في روما، وقد أثار حيوان وحيد القرن الاستغراب (Ptolémée،I، 8، .4).

لقد أكد كل من أيليان على قيام الجرمنت بحملاتصيد للفيلة في المناطق

الجنوبية منهم (Aelian،vi،65،xiv،5_6)،وقد وصف أيليان عمليات الصيد بقوله: " إنهم كانوا يطاردون الفيلة حتى تسقط في الحفر المعدة لإصطيادها " (Aelian ،xiv._) كما أشار إلى " أن هذه المطاردة قد تستمر يومين حتى تسقط الفرائس من الإعياء " (Aelian)، vi،(56وقد كان الطلب على الفيلة لأجل الاستعراضات ولأجل الحصول على العاج، لهذا حرص الجرمنت على استجلابه في إطار التبادل التجاري مع مناطق أواسط إفريقيا، لقد ورد الجرمنت الحيوانات البرية ومن بينها الفيلة إلى المدن الثلاثة، ومنها تم تصديرها إلى إيطاليا (احمد انديشة ، مرجع سابق ص 175_ 177)، ومن المرجح أنه كانت هناك فرق مختصة من الجرمنت،في التعامل مع هذه الحيوانات حية، ويكشف نقش ولوحة فسيفساءفي ميدان الشركات Square of the Corporations في ميناء أوستيا القديم Ostia Antica أن مدينة صبراته كانت مختصة في تجارة الفيلة، حتى أنها اتخذت من الفيل شعارا لتجارتها مع إيطاليا(Tripolitania ،209Mattingly،177،p.) لقد وصلنا نقش من لبدةيفيد بتقديم شخص يدعىبورفيوس لثلاثة أفيال حية إلى المدينة (E.L. Haynes، Theantiquites of Tripolitania،p92)، وقد رجح رستوفتزف أن هذا الشخص كان موردا للحيوانات المفترسة (RostovtzeffS، op cit،324p) ولا شك أن ذلك كان يتم من خلال الجرمنت.

الذهب والأحجار الكريمة: تاجر الجرمنت مع أواسط إفريقيا، وقد كانت خطوط التجارة تتفرع في المنطقة خلف الصحراء الكبري فتتجه إلى السودان وإلى تشاد والنيجر، ومقابل كل منتجات البحر المتوسط المتمثلة في الزيت والنبيذ والزجاج والقمح والذرة والتمور تحصل الجرمنت علي المعادن وعلى رأسها الذهب والعاج والجلود .D J Mattingly، op .cit،.(.(p375

لقد دعمت المصادر الكلاسيكية معرفة الجرمنت للأحجار الكريمة، حيث أورد الجغرافي استربو " أنه ومن خلال الجرمنت يجلب القرطاجيين الأحجار الكريمة " (Strabo،XVII،3،.19)أما بليني فقد ذكر ما يأتي: " تحتل المرتبة الاولي من بين هذه الأحجار الكاربونيكل وهو اسم بسبب مظهرها الناري علي الرغم من أنها لا تتأثر بالنار وبالتالي تعرف باسم Acaustoe)) أي غير القابلة للاحتراق، وهناك نوعان من الكاربونيكل الهندي والجرمنتي وكان الأخير يدعى بالقرطاجي _ كما أسموه الإغريق _لأنه

ارتبط بثروة قرطاجة العظمي"(Pliny،XXXVIII،25.).1

لقد ذكر محمد أيوب أن أحجار الكاربونيكلهي ما نعرفه الآن بالفيروز الأخضر(محمد ايوب ، جرمة في عصر ازدهارها، ص188)، وعن مناطق استخراجه ذكر استربو أن مصدره بلاد الجرمنت (_ Strabo،xvii،3،19)، في حين حدد بليني موطنه في إثيوبيا، وأنه كان يتم جلبه عن طريق سكان الكهوف الأثيوبيين، ثم يحدد بليني في فقرة أخرى مكان استخراجه بجبل غيري أو جيري (pliny،V،5،.(34

وتبين المصادر أن المتاجرة بالأحجار لم تكن حكرا على الجرمنت فقط، بل عرفتها قبيلة النسامونيس أيضا، وبناء على ما ورد فقد كان النسامونيس يخرجون للبحث عنه عندما يكون القمر بدرا وذلك لاعتقادهم بكونه حجر إلهي وهم يعثرون عليه بسهوله كونه يعكس أي اشعاع يسقط عليه، ويبدو أن هذا الحجر قد أطلق عليه اسم اشتق من اسم النسامونيس وهو اسم النسامونتاي(Nasamonitis)وتعني حجر النسامونيس(Pliny،XXXVII،10،64.).

من جهة أخرى تكشف مقارنة نص كل من بلينيوسيلينوس (Gaius Julius Solinus) عن حجر النسامونيس أنه" كان عبارة عن عقيق أحمر ذو لون ناري مع عروق سوداء "،(Gaius Julius Solinus)، 100،27. في حين نجد أن ما أورده بليني حول حجر الجرمنت، وعن موطنه يشير إلى معرفة الجرمنت للعقيق الأحمر والذي كان يجلب من منطقة الواوات ، ولحجر الفيروز الأخضر ومصدره كان بلاد الإثيوبيين (Pliny،XXXVii،1،30) .

لقد تاجر الجرمنت والنسامونيس على حد سواء في الأحجار (Strabon ،xvii،3،19)، ولكن كان لحجر الجرمنت الشهرة الواسعة كونه ارتبط باسم قرطاجة التي نقلته ضمن سلعها التجارية الي كل انحاء العالم القديم واخذ بالتالي اسمها أي الحجر القرطاجي (R. C. Law ،op.cit،p،187).

وإلى جانب ماسبق كان الملح والنظرون والشب والقمح والذرة والقطن والتمور من ضمن قائمة أهم السلع التي تاجر فيها الجرمنت .

الضرائب الرومانية : تعد الضرائب الرومانية على القبائل ومحاولة تحصيلها قسرا من أولى الأسباب إلى اندلاع الثورات الكبرى من قبل القبائل الليبية، وقد شمل ذلك الجرمنت، ومن المعروف أن الرومان لم يتركوا أي شيء إلا ووضعوا عليه ضرائب في كل الأقاليم التي احتلوها، ولم تكن التجارة بمعزل من ذلك، وبناء على ما ذكرته المراجع فقد فرضت ضرائب على بيع العبيد قدرت 5% (ول

ديورانت ، قصة الحضارة،صص242_243)، وكان هناك ضريبة مضاعفة في حالة بيع العبيد في روما (كرستينا فيلبس غرانت ، بادية الشام،54) كذلك كان هناك ضريبة على بيع الملح (Rostovtzeff's،op.cit،966)، وعلى بيع الجلود، وبيع الحيوانات (كريستنا فيلبس،نفسه) والمفارقة أن كل ما سبق كان من ضمن صادرات الجرمنت .

ثالثا_ الصدام العسكري بين الجرمنتوالرومان .(الحملات العسكرية).

اندلع الصراع العسكري بين الجرمنت والرومان وبشكل مباشر في بداية العصر الأمبراطوري، أي عصر أغسطس وذلك عقب سلسة من الإجراءات التنظيمية التي اتخذها هذا الأخير حيال الولايات الإفريقية وذلك عام 27 ق م، حيث قام بدمج ولايتي أفريقيا القديمة والجديدة في ولاية واحدة أطلق عليها أسم الولاية البروقنصلية ليضاف إليها لاحقا أي عام 25 ق م نوميديا.(M.Rachet، rome et les berberes،78p).

وقد أصبح المجال الترابي للولاية البروقنصلية يمتد من الوادي الكبير الذي يفصل بين نوميديا ومملكة موريتانيا وحتى مشارف السرتيس الكبير، ولكونها ولاية لا تحتاج لحماية فقد أسند إدارتها إلى مجلس الشيوخ لتدار بواسطة قنصل كان مقر أقامته في مدينة قرطاجة، كما أسند إلى الفيلق الأوغسطي الثالث والذي كان تحت إمرة القنصل السناتوري مهمة حماية هذه الولاية المترامية الأطراف والدفاع عن حدودها الجنوبية التي كانت تتعرض لهجمات القبائل المحلية التي تم الأستيلاء على أراضيها ودفعها إلى حدود الصحراء.(عمار المحجوبي، ولاية افريقيا، ص 92_93)

وترجح الآراء بأن قيام أغسطس بدمج هذه الولايات في ولاية واحدة كان يهدف إلى تنسيق العمليات العسكرية ضد القبائل الثائرة والواقعة للداخل والتي كانت تشن هجومها على حدود هذه الولاية وقد تمثلت هذه القبائل في الجيتوليو الجرمنت والمارمارياداي .(احمد انديشة، مرجع سابق ، ص63_65)

حملة كورنيلوس أورد المؤرخ الروماني بليني الأكبر خبر أول حملة عسكرية وجهها الرومان ضد الجرمنت، وذلك في الربع الأخير من القرن الأول ضد الجرمنت أي في عام 19 قم، حسب ترجيحات الباحثين، وبناء على ما أورده بليني _وهو مصدرنا الوحيد عن هذه الحملة_ فقد استهدفت الحملة والتي انطلقت من المدن الثلاثة _ ربما من مدينة لبتس ماجنا _ صوب معقل الجرمنت في

الصحراء الليبي ووصولا إلى عاصمتهم جرمة (Pliny ،nat.his ،v ،36_38).

ولعل ما يثير التساؤل بخصوص هذه الحملة عدم ذكر الجغرافي استرابون لها رغم معاصرته لهذا الحدث، وهو الذي تحدث عن حملة جاليوساياليوس على بلاد اليمن عام، وبالنظر إلى ما أورده بليني حول هذه الحملة نجد أنه قد ذكرها في كتابة الخامس وفي إطار استعراضه للولايات الإفريقية معددا الحدود والمدن والسكان والبيئة النباتية بها (Pliny، nat.his ،v،).

وعلى الرغم من أن بليني لم يذكر الأسباب التي دفعت بالرومان إلي إرسال هذه الحملة، فإن تحديد ذلك ليس صعبا، فسياسة الاحتلال ومصادرة الأراضي ودفع العديد من القبائل إلى المناطق شبه الصحراوية ومحاولة توطين أشباه الرحل بالقوة في مواطن محددة وتقييد حركتها ،جلب النقمة الشديدة على الرومان ودفع بهذه القبائل إلى التحالف فيما بينها وبين الجرمنت، ويرجح البعض بأن دعم الجرمنت لثورة قبائل الجيتولي، كان أحد الأسباب التي دفعت بالرومان وعقب القضاء علي ثورة الجيتوليD.Band ،principat ،162p))،بالتحرك لتصفيه الحساب مع الجرمنت .

لقد سعي الرومان ومن خلال حملة بالبوس إلى تحقيق أهداف منها تأديب القبائل الجرمنتية، وكسر شوكتهم بعد أن أصبحوا قوة لا يستهان بها و محاولة السيطرة على منابع التجارة الصحراوية وكسر احتكار الجرمنت لهذه التجارة (Pliny ،V).38 _36 ،Nat.his، ويرى أن الفيلق الأوغسطي والذي كان مكلف بحماية الولاية البروقنصلية قد تم تقسيمه عام إلى قسمين :جزء تحت قيادة سمبرونيوساترانتينوسو الذي تم توجيهه للقضاء على ثورة الجيتولي وجزء آخرتم توجيهه لتأديب الجرمنت بقيادة بالبوس .

وعلى الرغم من أن بليني لم يذكر نقطة انطلاق الحملة فإن هناك ترجيحات بكونها قد انطلقت من من صبراتة إلىكيدامس ثم اتجهت صوب موطن الجرمنت وقد أمدنا بليني في هذا الصدد بما لا يقل عن ثلاثين مدينة وقرية وقبيلة وصولا إلى عاصمتهم جرمة،ومن المدن ذكر فزانيا واليلن وكليبا وكيدامس كما أورد أيضا أسماء قبائل مثل نيتريس وفيبابو قبيلة انيبي وتاميجاي وأشار لها أيضا جارما.

وترجح بعض الآراء أن الحملة قد استغرقت خمسة وأربعون يوما وأنها قد حققت نتائجها المطلوبة (د.ج. ما تينغلي ، مرجع سابق ، ص 194_195)، في حين يري البعض الآخر أنها كانت محدودة النتائج ،(احمد انديشة، مرجع سابق ، ص70) ولكن يعطي الوصف

الوارد عند بليني وكأنها حملة استكشافية عن كونها حملة تأديبية (pliny،v،36_38)، ولعل عدم ذكر استرابو لهذه الحملة ربما يؤيد هذا الرأي، كما أن لدينا حالة مشابهة لهذه الحملة أوردها بليني نفسه وهي حملة سوتنيوسباوليوس على منطقة جبال الأطلس والتي رغم إعطائها صفة حملة عسكرية فقد كان ما أورده بليني حولها يرجح كونها حملة استكشافية (pliny،v،14)).

ولا يمكن إذن أن نعتبر أن هذه الحملة قد قضت على خطر الجرمنت، فلا وجود لذكر صدام ولا أعداد قتلى أو أسرى أو أي إشارة لغنائم أو أسلاب، ولعل ما يدعم ذلك أنه لم يأتي عام 15 ق م حتى اندلعت ثورة عارمة تزعمها تحالف بين قبائل الجرمنت والمارماريدي _وهي من أقوى القبائل الليبية الواقعة شرق قوريني _ وقد تصدى الرومان لهذه الثورة بتكليف حاكم قورينيبوبليوسسولبيكوسكويرينوس للقضاء على هذه الثورة وقد أشار فلوريس إلى ذلك بقوله: " لقد عهد بإخضاع المارماريدايوالجرمنت إلىكويرينوس الذي ربما عاد بلقب مارماريكوس، لو لم يكن متواضعا في لقبه "(Erich S. Gruen ،op cit.،168)).

الجرمنت وحرب تكفاريناس :

تؤكد الأحداث اللاحقة على استمرار العلاقات العدائية بين الرومان والجرمنت، الذين ربما دعموا ثورة الجيتولي (Gaetuli)والموسولامي (Musulames) عام 6 ق م (انديشة، مرجع سابق ، ص 71_ 72.)، وهي الثورة التي قمعت بصعوبة من قبل كورنيليوسلينتولوسوفيعام 17 ميلادي اندلعت ثورة تكفاريناسفي نوميديا(Tacitus،annuals،IV،23.) كان تكفاريناس جندي نوميدي في الجيش الروماني تدرب على الأساليب القتالية الرومانية ثم فر من الجيش وكون فرق شنت هجمات خاطفة على الرومان، وقد توعد تكفاريناس الرومان بحرب لاهوادة فيها، ما لم يمنحوا قبيلته الموسلامي أراضي مناسبة بعد أن جردهم الرومان من أغلب أراضيهم(Tacitus،annuals،IV،23.).

وتشير المصادر إلى أن ملك الجرمنتس قد دعم هذه الثورة بشكل غير مباشرة، حيث انظم إلىتكفاريناس فرق قتالية من الجرمنت، تميزت بكونها غير نظامية وخفيفة التسلح، وقد اكتفى ملك الجرمنت بالاحتفاظ لتكفاريناس بغنائمه التي كان يغتنمها من الرومان (Tacitus،annuals،IV،23.)، كما قاموا بتأمين الطرق المؤدية لموطنهم في

حالة أراد التراجع تحت ضغط من الرومان، وقد كان لأسلوب تكفاريناس القتالي والمتمثل في التحرك بقوات خفيفة وتوجيه ضربات سريعة موجعة إضافة إلى الدعم الجرمنت يلتكفاريناس ساهم في إطالة أمد الحرب لمدة سبع سنوات، حيث عجز أربعة قناصل رومان عن حسم المعركة ضد تكفاريناس.(Tacitus،annuals،IV،23)

وبعد هزيمة تكفاريناس، وخوفا من قيام الرومان بالهجوم على موطنهم قام الجرمنت بمحاولة مهادنة الرومان من خلال الاعتذار عما بدر منهم، حيث ذكر تاكيتوسأنه: " وقد حضر أيضا وفي مشهد نادر في روما وفد جرامنتي الذي أرسله شعبه وقد تفاجأ _ أي الوفد _ بموت تكفاريناس ووعى منهم على أخطائهم ولتقديم الإنصاف للشعب الروماني " (Tacitus،annuals،IV،26.) .

حملة فاليريوسفستوس (**Valerius Festus**.

يبدو أن العلاقات الجرمنتية الرومانية ما لبثت أن ساءت من جديد عقب حادثة الصراع بين مدينتي أويا ولبتس ماجنا عام 68_ 69 م (Tacitus،Histories،V،50.)،وكان الصراع بين المدينتين قد استفحل بينهما بدرجة دفعت مدينة أويا إلى الاستنجاد بالجرمنت(Tacitus،Ibid.)) الذين لبوا ندائها بسرعة حيث حاصروا مدينة لبتسماجنا وعاثوا فسادا في أراضيها ولقد نجح الرومان في طرد الجرمنت بعد أن أوكلت المهمة إلى القائد الروماني فاليريوسفستوس (Valerius Festus) والذي نجح في عقد صلح بين المدينتين .

ولكي يظهر فاليريوسفستوس مقدرته للأمبراطور الجديد فسبسيان ولينتقم من الهجوم الجرامنتي على مدينة لبدة، قام بقيادة حملة عسكرية لتأديب الجرامنت وقد اكتشفت الحملة طريقا آخر غير الذي سلكه كورنيليوس بالبوس عام 19 ق م، وهو طريق قصير يستغرق قطعه أربعة أيام وقد أسماه بليني بطريق الصخرة (pliny،v، 38)،وقد تباينت آراء الباحثين حول هذا الطريق حيث يرى بعض الباحثين أن الطريق ينطلق من قولايا" بونجيم الحالية " إلى هون(Haynes، theantiquites tripoliaia،38p)، في حين يفترض البعض الآخر" بأن الطريق ينطلق من أويا إلى مزدة عبر الحمادة الحمراء".(ماتنغلي ، مرجع سابق ، ص 198)

ويبدو أن حملة فستوس قد نجحت وحققت نتائج باهرة ويرجع الباحثون نجاح الحملة لاستخدام الرومان ولأول مرة للجمال، ولعل جزءا كبيرا من هذا

النجاح يعود إلى عنصر المفاجأة، ( )وقد رجح بعض الباحثين "بأن صور الأسرى المجسدة في فسيفساء زلطن قد تكون تمثل أسرى جرمنت "(Kondoleon ،. Domestic and Divine: Roman Mosaics،.(p280

سبتموسفلاكوس**septimiusflaccus**.

أشار بطليموس الجغرافي _ ونقلا عن مارينوس الصوري _إلى حملة قام بها قائد الفرقة الأوغسطية الثالثة سبتموسفلاكوسseptimiusflaccusأو سوليوسفلاكوس كما يرد في مصادر أخرى، وهو الأكثر ترجيحا، كان هذا القائد قد قام في الفترة من عام 85_86 م بشن حملة عسكرية على قبيلة النسامونيس في منطقة السرتيس عقب قيام أفراد هذه القبيلة بقتل ملتزمي الضرائب الرومان الذين كانوا يبتزون الأموال قسرا من أفراد هذه القبيلة .(عمار المحجوبي، مرجع سابق ص96)

وقد تمكنت قبيلة النسامونيس أول الأمر من هزيمة سوليوسفلاكوس وقواته، والاستيلاء على معسكرهم حيث غنموا مافيه من أسلحة ومؤن، ولكنهم ارتكبوا خطأ قاتلا تمثل في إقبالهم على دنات الخمر يحتسونها والموت يلتهمونها بدلا من مطاردة العدو والقضاء على قواته، وقد غلبهم عقب ذلك النوم وما أن علم فلاكوسب الأمر حتى جمع ما تبقي من قواته وكر عليهم وهم شبه أيقاظ فأعمل فيهم السيف(احمد انديشه، مرجع سابق ص84)، وقد تفاخر الإمبراطور دومتيان بهذا النصر في مجلس الشيوخ الروماني (Dios، Roman History، lxvii،VIII،6.

ومن النتائج المباشرة لهذه الحملة هو إحلال السلام والعلاقات الطيبة بين الرومان المسيطرين على المدن الثلاثة والجرمنت (احمد انديشه ، مرجع سابق ص85)، ومن الدلائل التي تؤكد حدوث السلام نص لبطليموس الجغرافي أشار فيه إلى سفر ملك يدعى ميرسين، لمقابلة الإمبراطور الروماني دومتيانوس في روما (_ I) Ptolémée، 8، 4)، ورغم ذكر المصادر أنه كان ملك النسامونيس (ايوب ، جرمة،147)فإن هناك ترجيحات أن يكون هذا الملك جرمنتي، وقد دلل على ذلك كون الإمبراطور دومتيانوس قد تفاخر في مجلس الشيوخ بهزيمته للنسامونيس وأنه لم يعد لهم وجود "I have forbidden the Nasamones to exist." (Dios، Roman History، VIII، lxvii،6.) فلا يعقل أن يعلن الإمبراطور عن القضاء على

شعب النسامونيس وفي الوقت نفسه يستقبل ملكهم !!!.

وهناك من يرجح عقد معاهدة بين الجرمنت والرومان ربما نصت على فتح الطرق التجارية الجنوبية أمام الرومان، مدللا على أن العثور على أوان مصنوعة في بلاد الغال يدعم ذلك ، وربما اقتنع الجرمنت بعدم جدوى الحرب مع الرومان خاصة عقب استعمالهم للإبل ومعرفتهم بالطرق القصيرة التي توصلهم إلى عقر دار الجرمنت، كذلك رغبة الرومان في إقامة وكالات تجارية مع جرمة .

لقد قام فلاكوس _وعقب القضاء على ثورة النسامونيس_ بالتوجه من المدن الثلاثة صوب أراضي الجرمنت، حيث استغرق منه للوصول إلى عاصمتهم جرمة حوالي ثلاثين يوما، وترجح الآراء أن هذه الحملة لم تكن موجهة للجرمنت بل كانت تطارد بقايا النسامونيس الذين فروا إلى الجنوب، وقد وصل فلاكوس إلى جرمة، ومنها توجه جنوبا_ وهنا نرجح استعانته بأدلاء من الجرمنت_ حيث وصل وبعد ثلاثة أشهر مسير إلى إثيوبيا ؟

ورغم الغموض أحاط بهذه الحملة فإن الثابت أنها لم تكن موجهة مباشرة للجرمنت، وإنها تحمل طابع استكشافي ربما لمنابع تجارة الجرمنت الصحراوية .

حملة جوليوسماتيرينوس**juliusmaternus**

في بداية القرن الثاني ق م وتحديدا في عهد الإمبراطور ترجان حدثت حملة قادها جوليوسماتيرينوس صوب بلاد الجرمنت، حيث انطلق من لبدة وفي مسيرة عشرين يوما فقط وصل إلى جرمة، ثم توجه جنوبا برفقة الملك الجرمنتي الذي لم نعرف اسمه وفي رحلة استمرت أربعة أشهر إلى أراضي منطقة أجيسمباAgisymba(ايوب ، مرجع سابق ص180_181.).

ويقول مصدرنا الوحيد حول هذه الحملة "حول الطريق المؤدي من جارما عند الأثيوبيين_ يقول مارينوس الصوري_ أنه من ناحية سيبتموسفلاكوس، بعد إحدى الحملات في ليبيا، وصل إلى الأثيوبيين في ثلاثة أشهر من الطريق نحو الجنوب وراء جارمانتس، ومن ناحية أخرى وصل جوليوسماتيرينوس الذي كان قد جاء من ليبتس ماجنا، وكان قد سافر من جارما في صحبة ملك الجارامنتس الذي كان يسير ضد الأثيوبيين، خلال أربعة أشهر، بعد أن ذهب دون أن يتوقف عند الجنوب في أجيسيمبا بلد الأثيوبيين

حيث تتركز حيوانات وحيد القرن " Ptolémée ،I، 8، .((4

يتوافق الباحثون حول هذه الحملة على القول أن ماتيرتوس لم يكن يقود حملة عسكرية، فلا وجود لذكر لأي جيش معه، كما لم يكن معروفا في دوائر المقاطعة فلم يكن يحمل صفة سياسية أو عسكرية_ بمعنى بروقنصل أو بريتورعسكري إلى آخر ذلك _ ويرجح ماتنجلي كون ماتيرينوس كان مفاوضا(د.ج.ماتنغلي، مرجع سابق ، ص199)، في حين يرجحLowأنه كان تاجرا. (Low،op.cit،199pp_200)

من جهة أخرى يكشف نص بطليموس عن اسم منطقة أجيسمبا والتي ترد لأول مرة في المصادر وهي أقصى نقطة وصلتها الحملة، وقد تعددت الآراء حولها بين قائل أنها بحيرة تشاد الحالية وبين من يرى أنها تقع في منطقة تيبستي وتحديدا في المنطقة المعروفة باسم أير(*Desanges*، *Agisymba*، *Encyclopédie berbère*، *259_260*)، ويفتح هذا الأمر مجالا للتساؤل وهو هل وصل نفوذ الجرمنت إلى منطقة تشاد؟ وهل كانوا يفرضون عليهم مكوس وضرائب كانت شكل سلع مثل الجلود والحيوانات المفترسة وربما الذهب، حقيقة إن ذلك ليس بعيد الاحتمال.

ولا نجد في المصادر أي إشارة إلى ثورات أو صراع سياسي أو عسكري أو حملات شن حروب على الجرمنت، وهذا الأمر جعل من الباحثين يفترضون أن فترة سلام قد سادت طيلة القرن الثاني الميلادي، فهل كان لليمس الروماني والحصون العسكرية الدور الكبير في خنق أي انتفاضة جرامنتية ضد الرومان ؟ أم أنها كانت فترة سلام وتبادل تجاري ؟ على أي حال بنهاية القرن الثاني وبداية الثالث نجد أن الوضع سوف يتغير حيث أنه ومع بداية حكم الأسرة السيفيرية سوف تعيد القوات الرومانية بإعادة انتشارها في منطقة المدن الثلاثة مما يؤكد حدوث اضطرابات في بداية حكم سبتميوسسيفيروس حيث كشفت المصادر المتأخرة عن وجود من كان يهدد أمن المنطقة بدون تحديد هوية هؤلاء المعتدين(د.ج.ماتنغلي، مرجع سابق ، ص201_202.)

لقد تم تأكيد فترة الاضطرابات بالسنوات من 190 م وحتي 200 م، وذلك استنادا على أمرين الأول تأسيس قلعة بونجيم عام 200 م، ونص نقش أشار "إلى انتصارات سبتميوس وعودته

المظفرة إلى بلدته لبدة من حملاته النشيطة " (د.ج.ماتنغلي، نفسه)فهل كانت الحملات موجهة إلى تحالف الجرمنت والنسامونيس بكونها أكثر القبائل إزعاجا للرومان منذ احتلالهم لشمال إفريقيا؟ حقيقة لانستبعد ذلك .

الخاتمة

تعتبر حضارة الجرمنت اول حضارة ليبية اصيلة وعريقة في ليبيا وهي مستقلة في نشأتها عن الحضارات التي سادت في منطقة حوض البحر المتوسط وقد أمتد تأثيرها الحضاري في انحاء الصحراء الكبري، وقد عاصرت الحضارتين الأغريقية والرومانية في الفترة الممتدة من 500 ق م وحتي 500 ميلادي.

لقد كشفت الأبحاث الأثرية عن أن الجرمنت قد سيطرو في اوج قوتهم ،علي مالا يقل عن 250 الف كلم من الأراضي الصحروية ، وانهم وبعد نجاحهم في انجاز اكبر نظام متقدم في الري وهو نظام الفجارات اصبح لديهم نظام زراعي متطور وعاشوا ورغم الظروف المناخية وسط نظام حضاري مدني لم يكن ليختلف عن أي مدينة متوسطية.

في القرن السادس ق م كان الجرمنت قد سيطرو علي طرق التجارة الداخلية واصبحوا سادتها ورغم وجود قرطاجة كقوة عالمية انذاك فقد فضلت ان تتعامل مع الجرمنت كزعماء لهذه التجارة واكتفت بلعب دور الوسيط التجاري فنقلت منتوجاتهم وبادلتها مع العالم القديم وقد حمل بعض هذه المنتوجات اسم قرطاجة

يبدو ان الجرمنت قد اكتسبوا خبرة كبيرة في نظم التجارة ، ومتطلبات الأسواق العالمية أنذاك، وقد سخروا هذ الخبرة في أرضاء متطلبات شركائهم التجاريين سواء في اواسط افريقيا او في المدن الساحلية، وقد حققوا بالتالي ثروات هائلة ، دللت عليه مخلفاتهم الأثرية كما انعكس علي كل مظاهر حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

لقد استورد الجرمنت كل السلع الضرورية والكمالية التي استهوت تجارهم ، كما نقلوها الي الدواخل الأفريقية ، من جهة اخري دافع الجرمنت علي حقوقهم كسادة للتجارة الصحراوية بين الساحل واواسط افريقيا بكل ما استطاعوا ، ليتطور الأمر مع صدام مسلح مع الرومان ، في محاولة منهم لكسر هذا الأحتكار ، حيث جرد الرومان ثلاث حملات عسكرية ضدهم .

ساد السلام بين الجرمنت والرومان وهو ما ساهم في رفع حجم التبادل التجاري بين الطرفين حيث تدفقت السلع الصحراوية وعبر الطرق التجارية الجرمنتية الي المدن الثلاثة ومنها الي روما وفي المقابل استورد الجرمنت كل السلع التجارية البحر

متوسطية ليعاد تسويقها في أواسط افريقيا . ولعل افضل ما يمكن ان نختم به بحثنا هذا ما صرح به العالم الأثري ديفيد ماتنغلي المتخصص بحضارة الجرمنت حيق قال" وبفضل البراعة البشرية للجرمنت ،وضد كل الصعاب تمكن سكان أكبر صحاري العالم من إنشاء حضارة مزدهرة وناجحة ، في واحدة من أكثر المناطق البرية جفافا وأشدها حرارة على الأرض، لقد أحب الرومان النظر إلى الجرمنت على أنهم من الليبيين البسطاء، ولكن كل الأدلة الجديدة تضع الأمور في نصابها الحقيقي وتبينهم بأنهم كانوا المزارعين الرائعين والمهندسين أصحاب الحيلة والتجار المغامرين الذين انتجوا حضارة رائعة"

Sources and references

First: the sources

[1] Aelian, on the characteristics of animals, trans by, A. F. Scholfield, Harvard university press, Loeb Classical Library, 1958.

[2] Aristotle, Generation of animals, Harvard University Press, Loeb classical library, 1943.

[3] Athenaeus, The Deipnosophists, trans, by Charles Burton Gulick, Harvard university press, Loeb Classical Library.

[4] Dios, Roman History, Cambridge, Mass. : Harvard University Press ; London,1914.

[5] Florus, Epitome of Roman History, Loeb Classical Library, Harvard University Press New York, 1947.

[6] Herodotus, The histories,transby,A. D. Godley, Harvard University Press, Loeb Classical Library, 1921.

[7] Justin, HistoiresPhilippiques, paris, library Hachette etc. 1873.

[8] Pliny: Natural History, trans, by W.H.S. Jones, Harvard university press, Loeb Classical Library, London, 1963.

[9].Polybius, The Histories, Loeb Classical Library, Harvard University Press, 1966.

[10] SiliusItalicus: Punica, Loeb Classical Library, Harvard University Press, 1934.

[11].Strabo, Geography, Trans, by Horace Leonard Jones, Harvard University Press, Loeb Classical Library, 1917.

Second: Foreign references

[1] Alaxanderriese, Anthologialatina, sivepoesislatinae, University of Toronto, 1869.

[2] C. Daniels, The Garamantes of southern Libya, the oleander press, 1969.

[3] Christine Kondoleon, Domestic and Divine: Roman Mosaics in the House of Dionysos, cornell.

[4] D.Band, principal, New York, 1975.

[5] Desanges, Agisymba, Encyclopédieberbère, 2 Ad – Ağuh-n-Tahlé, Aix-en-Provence, Edisud, 1985.

[6] D.J. Mattingly and others, Trade in the ancient sahara and beyond, Cambridge University Press, 2017.

[7] E.L. Haynes, The Antiquites of Tripolitania.4th Edition, 1981.

[8] Erich S. Gruen, “The Expansion of the Empire under Augustus” in The Cambridge Ancient History, Volume

[9] John Wright, The Trans Saharan Slave Trade, first published Routledge, New York, 2007.

[10] J.R. Willis, Slaves Slavery in Muslim Africa, Frank Casscompany, London, 2005.

[11]. M. Rachet, Rome et les berberes, latomus, Bruxelles, 1970.

[12] M.S.Ayoub, Excvation at germa the capital of the garamants, july, 1962.

[13] M.v.derveen, garamantianagriculture, the plant remains from zinchecra, Fezzan, Libyan studies, 23, 1992.

[14] N.m. Kay, Epigrams from the anthologialatina, text, translation and commentary, first published, London, 2006.

[15] Oric Bates, The Eastern Libyans, Cornell University Library, London, 1914.

[16] P. Romanelli, lacirenaicaromana, 96 a. C.-642 d. Verbania, A. Airoldi, 1943.

[17] R.C.C.Low, The garamantes and trand Saharan, journal of history, VIII, 1967.

[18] Rostovtzeff's, Social and Economic History of the Hellenistic World, The Clarendon Press, 1966.